المدن والدويلات الإسلامية في شـــرق أفريقيـــا

عثمان محمد أبو نائب
كلية التربية - جامعة غرب كردفان

ملخص البحث

يتناول البحث علاقة العرب بساحل شرق إفريقيا محددا البعد التاريخي لتعدد الهجرات العربية ومعرفتهم بإفريقيا قبل معرفة الأمم والحضارات الأخرى بها؛ مستفيدين بذلك من الظروف الطبيعية في الجزيرة العربية وقرب المسافة.

ويطرق البحث الأسباب التي جعلت العرب يهاجرون إلى ساحل شرق إفريقيا ويستقرون بها مع إنشائهم للمدن والأمارات، مع وصف لأهم المدن وصفات أهلها مثل: (مقديشو - براوة - باتا ولامو - بمبا - زنجبار) موضحا الأسر التي حكمت هذه البلاد ودورهم في إنشاء المراكز التجارية مستشهدا بآراء الرّحالة والمؤرخين.

The Islamic Cities and States In East Africa

Osman Mohamed Abu Naieb
West Kurdofan University - Faculty of Education

Abstract

The research tackles the Arab relationship in the East Africa coast, determines the historical dimension of the Arab migrations and their knowledge about Africa well before other nations and civilizations taking the advantage of the geographical proximity and the natural environmental conditions of Arab Peninsula.

The research treats the reasons that made the Arabs migrate to East Africa coast , their residence there and their establishment of cities and emirates. The research also describes the most important cities and the characteristics of their people (e.g. Mogadishu, Brawa, Bata, Lamo, Bomba and Zanzibar) with the illustration of the powerful families that ruled these cities and states and their role in establishing trade centre as recorded by travelers and historians.

فصل تمهيدي

شرق أفريقيا قبيل الغزو البرتقالي

مقدمة:

إن قيام المُدن والدويلات الإسلامية تتعلق بقدوم العرب للساحل الإفريقي، فالبحث عن علاقة العرب بساحل شرق أفريقيا له بحر عميق لبعده التاريخي، ومترامي الأطراف لكثرة الأعداد الهائلة من المهاجرين الذين وفدوا إليه ، وتعدد الهجرات، وهو بحر للغموض الذي شاب كثيرا من تاريخهم فيه ، فما وصلنا من هذا التاريخ لهو قليل، فلم يكتب ذلك التاريخ في أوانه ربما لعدم معرفة العرب للكتابة ، أو لعدم اهتمامهم بكتابة التاريخ في ذلك الوقت.

ما يمكن أن يغلب أن العرب قد عرفوا الساحل الشرقي لأفريقيا قبل أن تعرفها أي قارة من قارات الدنيا وعرفوه قبل أن تعرفه أي أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات القديمة.(١) ويقول كوبلاند أن النور الذي أضاء أفريقيا جاءها من العرب ومن جزيرة العرب، ولم يأتها من أوربا(٢)

وقد عرف سكان شرق إفريقيا العرب قبل أن يعرفوا سكان إفريقيا في أجزائها الداخلية، وذلك لأن العرب قد اتصلوا بهذا الساحل منذ أقدم العصور، إذ تعاملوا معه تجارياً ، وقد أكدت الآثار أن ساحل شرق إفريقيا تواصل مع حضارة بلاد النهرين منذ أيام سرجون الأكدي.(٣)

ومع الدول العربية القديمة التي كانت في جنوب الجزيرة كسبأ وحمير وغيرها . وكانوا يطلقون عليه ساحل بنادر(٤).

كان العرب يتاجرون في ساحل إفريقيا الشرقي مقايضين منتجات أسيا بتراب الذهب والعاج والصمغ، (٥) وأضاف بعض من كتب عن شرق إفريقيا العبيد.(٦)

وما كان للعرب أن يتصلوا بساحل شرق إفريقيا لو لا الظروف الطبيعية المتمثلة في البحار التي تحيط بالجزيرة العربية ، والرياح الموسمية التي تتيح لهم رحلتين في العام ذهابا وإيابا(٧) . وقرب المسافة في ما بين جنوب الجزيرة العربية وساحل شرق إفريقيا ، التي قال عنها المسعودي: (إن الرحلة إلى بلاد شرق إفريقيا لا تستغرق أكثر من ثلاثة أيام).

أساب هجرة العرب إلى شرق إفريقيا

تعددت الأسباب التي دفعت العرب أن يهاجروا إلى ساحل شرق إفريقيا وفقاً لما صاغه الكتاب والمؤرخون. يقول مبارك على الهناني أن الأساطيل العربية أبحرت إلى ساحل شرق إفريقيا في الأزمنة القديمة إما بهدف الغزو أو هدف التجارة[٨] وإنا لنرى أن التجارة من أهم الأسباب التي أدت إلي اتصال العرب بساحل شرق إفريقيا وبالتالي سبباً من أسباب الهجرة ، ولكن أن يكون الغزو من أسباب هجرتهم إلى هناك فهذا أمر مستبعد لأن العرب لم يخرجوا إلى غزو كهذا في ذلك التاريخ وحتى أيام الدولة الإسلامية في نصف قرنها الأول ، وما كانوا يحتاجون لغزو إفريقيا التي كانت تستقبل التجار العرب ، وتتعامل معهم، ولم تعرض لهم بسوء .

ويرد بعضهم أسباب هجرة العرب إلى ساحل شرق إفريقيا إلى العلاقات التجارية وقرب المسافة فيما بين الجزيرة العربية وساحل شرق إفريقيا ، وخلو الطرق البحرية من العوائق الطبيعية والمفتعلة ، وقد كان باب المندب معبراً قصيراً بين الشاطئين[٩].

وأكثرهم يرد الأسباب إلى الظروف السياسية ، والاختلاف في المذاهب الدينية[١٠] والأخيرة هذه سنعرض لها تفصيلاً عندما نتكلم عن بعض الهجرات وأسبابها .

فلما جاء الإسلام طرأت أسباب جديدة جعلت العرب يهاجرون إلى شرق إفريقيا .فلما آل أمر الدولة الإسلامية إلى بني أمية الذين أقاموا الدولة الأموية بعد الخلاف الذي وقع بين المسلمين قبلهم ، وبعد مقتل عثمان بن عفان الخليفة الثالث ، وما عرف في التاريخ الإسلامي بالفتنة الكبرى ، تولدت انقسامات في وسط المسلمين فغدوا أحزاباً سياسيةً تعاركت فيما بينها مدافعةً عن رأيها . واحتدم القتال أولاً بين المسلمين فيما عرف بموقعة الجمل ، ثم ما دار بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، وما بين علي والخوارج خاصة معركة النهروان التي انهزم فيها الخوارج الذين خرجوا من صفه ، فاتجه بعضهم إلى ساحل شرق إفريقيا[١١] وخرجت مجموعة من الشاميين الذين رغبهم عبد الملك بن مروان في الهجرة إلى هناك. ثم هاجر في حوالي سنة ٦٩٥م مجموعة من العرب الذين فروا من بطش الدولة الأموية بعد أن قاموا بحركات ضدها قادها كل من عبد الله بن الأشعث والخوارج سخطاً على سياسة الحجاج بن يوسف الثقفي ، فضمت هذه الهجرة مجموعة كبيرة من أهل الشام والعراق والجزيرة العربية.[١٢]

تلت الهجرات السابقة هجرة سليمان وسعيد ابني الجلندي ، ومن معهما من أسرتيهما وأفراد قبيلة الأزد التي ينتمون إليها وكانت هذه الأسرة تتولى مقاليد الأمور في عمان،

لكن الدولة الأموية التي كان عليها الخليفة عبد الملك بن مروان أرسل إليهم الحجاج بن يوسف الثقفي حاكمه في العراق لإخضاعهم لسلطته[١٣]. فما كان لهم من مخرج سوى الساحل الشرقي لإفريقيا.

وتتالت الهجرات الفردية والجماعية من الجزيرة العربية وخاصة من عمان والخليج العربي ومنطقة الإحساء والبحرين وحضرموت، ففي عام ٧٤٠م هاجرت مجموعة من الزيدية. الذين انقسموا في مذهبهم، ففر جزء منهم إلى شرق إفريقيا خوفاً من بطش الأمويين وأقاموا بالقرب من مقديشو الحالية[١٤].

ثم نزلت ساحل إفريقيا في عام ٩١٣م مجموعة من المهاجرين الجدد هم الإخوة السبعة الذين خرجوا من الإحساء لما وقع الخلاف بين القرامطة والدولة العباسية، وقد أبحروا في ثلاث سفن[١٥]. ولهؤلاء الفضل في تأسيس عدة مدن على الساحل الشرقي لإفريقيا، منها مقديشو وبرواة.[١٦]

ودل ذلك على كبر حجم هذه المجموعة التي لم يستطع السكان السابقين لهم في الساحل أن يقفوا في وجههم ثم لعبوا دوراً كبيراً في تاريخ هذا الساحل.

ومما حفظه التاريخ من الهجرات العربية الكبيرة إلى شرق إفريقيا هجرة أسرة عمانية كبيرة كان لها في تاريخ عمان دوراً بارزاً إذ بقيت على رأس الحكم فيها زمناً طويلاً؛ لكن أمرها وهن في القرن الثالث عشر الميلادي، فما وجدت سبيلاً غير الإبحار نحو ساحل شرق إفريقيا، وهي أسرة المظفر النبهانية، وتعويضاً لما فقدته في عمان استطاعت أن تأسس إمارات لها في الساحل مبدؤها باتا سنة ١٢٠٤م، ومقديشو ١٣٤٠م، وقد زار الرحالة العربي ابن بطوطة الساحل في أيام حكمهم وخاصة فترة أبو بكر الشيخ عمر المظفر[١٧].

والهجرات العربية لهذا الجزء من إفريقيا كثيرة سواء كانت قبل الإسلام أم بعده - لكن المؤرخين أهملوا اغلبها لعدم ارتباطها بأحداث سياسية كبيرة، لأن المؤرخين كانوا يهتمون بالأحداث السياسية وصانعو هذه الأحداث، والشخصيات المشهورة وما تقوم به، والأماكن التي ارتبطوا بها. ولو كان ما ذكر من هجرات وفدت إلى الساحل فقط لما استطاع العرب إقامة كل الإمارات التي عرفت في الساحل والجزر المطلة عليه لكنها أكثر من ذلك بكثير، وقد تعاونوا مع الأفارقة وتصاهروا معهم فتكاثرت أعدادهم، وأصبح لهم الولاء.

ومن دراستنا للهجرات العربية المتلاحقة وجدنا أن لكل هجرة سبباً خاصاً قادها لمفارقة وطنها، تمخر عباب البحر بما فيه من أهوال وأمواج. فأسباب الهجرة غالباً التجارة، لأن العرب ألفوا التجارة منذ زمن بعيد يتبادلون السلع من أجل الربح الكبير. وأسباب

سياسية ، وإن اختلفت الأسباب السياسية من هجرة إلى أخرى ، لكن المسلمين لما اختلفوا وانقسموا جماعات وأحزابا تصارعوا من أجل السلطة ، وأعملوا السيف لحل ما بينهم، فبحث من غُلب منهم عن ملاذ آمن له ، ولكي يكون الملاذ أكثر أمنا لابد أن يكون بعيداً، بحيث ينقطع أمل المطارد في اللحاق بفريسته، فكانت شرق إفريقيا.

ونضيف إلى ما تقدم من أسباب أن بعض العرب هاجروا إلى ساحل شرق إفريقيا سياحة، ليستمتعوا بمناخها وأمطارها، ابتعاداً عن الجزيرة العربية ذات الطبيعة الجافة في غالب وقتها، والمعروف عن شدة حرارتها . ومن العرب من هاجر إلى ساحل شرق إفريقيا فضولاً؛ ومن هاجر لنشر الدعوة الإسلامية، ليهدي الله به إلى هذا الدين من أجل الجزاء الأوفى.

وكانت نتيجة هذه الهجرات العربية المتلاحقة لشرق أفريقيا استقرارا دائماً ، وإقامة مدن وإمارات عاشت زمناً طويلاً متفرقة حيناً، ومستحكم بعضها على بعض أحياناً أخرى.

لذا علينا أن نعرض لبعض المدن والإمارات التي أنشأها العرب أو التي حكموها.

مقديشو :

مقديشو بفتح الميم وسكون القاف وفتح الدال والشين كما جاء في كتاب رحلة بن بطوطة المسماه تحفة النظار في عجائب الأسفار.[١٨]

مقديشو بفتح الميم وسكون القاف وفتح الياء وضم الشين ، وردت بهذه الكيفية في كتاب آثار البلاد وأخبار العباد لزكريا بن محمد بن محمود القزوي[١٩].

وهي بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال المهملة وضم الشين المعجمة وفي أخرها واو، في كتاب تقويم البلدان[٢٠].

ومقديشو كما ذكر ابن بطوسطة تبعد عن عدن أربعة أيام إلى زيلع، ثم خمس عشر ليلة من زيلع إليها، أي أنها تبعد مسيرة تسعة عشر يوماً من عدن ، ثم قال واصفاً لها، أنها مدينة كبيرة متناهية في الكبر، أهلها أثرياء ينحرون مئات الإبل في كل يوم يمتلكون الأغنام إضافة إلى الإبل ، ويعلمون في التجارة ولهم فيها قوة وثرا ء وأنها مدينة صناعية، إذ يقول : تصنع فيها الثياب التي اشتهرت بها ونسبت إليها لجودتها وكانت تصدر إلى مصر[٢١].

تقع هذه المدينة في أول ما أطلق عليه العرب بلاد الزنخ في جنوب اليمن على ساحل شرق أفريقيا فقد تعامل العرب في التجارة مع مقديشو فحملوا منها الصندل والأبنوس والعنبر والعاج وغيرها [٢٢]. وقال أبو الفداء تقع مقديشو على بحر الهند [٢٣]. وتقع مقديشو على بحر الهند كما وصفها عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢هـ قائلاً : «ومقديشو على بحر الهند وأهلها مسلمون ولها نهر عظيم يشبه نيل مصر في زيادته في الصيف وقد ذكر أنه يخرج شقيقاً لنيل مصر من بحيرة كورا (تانا) ويصب بالقرب من مقديشو في بحر الهند» وذكر أنه قرأها لابن المجد في كتابه مزيل الارتياب بأنها مدينة كبيرة وأهلها من الزنج والحبشة.

واتصف أهل مقديشو بصفات طيبة ، فقد كانوا يرحبون بالضيوف وكان من عادة أهلها كما ذكر ابن بطوطة أن ينزل الفقيه عند القاضي، ومن ثم يزور السلطان ، فينزله حيث يرى. وقد وصف ابن بطوطة المدينة وسكانها وحكامها، وكيف يتعاملون مع غيرهم، وفيما بينهم، وخروج سلطانها إلى الصلاة وغيرها ومن حوله حاشيته.

مقديشو أقدم المراكز التجارية التي أتخذها العرب على ساحل شرق أفريقيا[٢٤] بل هم الذين يرجع إليهم فضل تأسيسها ، إذ بدأ تاريخها يوم أن نزل الإخوة السبعة الساحل سنة ٩١٣م قادمين من الإحساء في ثلاث سفن ، فحطوا رحالهم في مكانها، وأنشأوها بقوافيها، ثم جعلوها عاصمة لدولتهم التي أقاموها ، ومن ثم بدأوا يبسطون سيطرتهم على طول الساحل حتى وصلوا ممبسة ومقديشو[٢٥] .

بسط هؤلاء المذهب الشافعي الذي كانوا يتبعونه بعد أن طرد الزيدية الشيعة الذين سبقوهم إلى هذا الساحل والى داخل أفريقيا[٢٦].

بقيت مقديشو التي قيل أنها مركبة من كلمتين هما مقد شاه التي تعني مقعد الشيخ ، ثم طور نطقها مع مرور الزمن فصارت مقديشو[٢٧]. أصبحت بعد تأسيسها بؤرة للنشاط الإسلامي ، يصل شعاعها لكل مدن الساحل الشرقي لأفريقيا زمناً طويلاً ، وظلت مركزاً يتجمع فيه كل من وفد من جزيرة العرب إلى ساحل بنادر ، وقد استطاعت مقديشو أن تبسط نفوذها التجاري على مدن الساحل حتى سوفالا جنوباً[٢٨]. وما كان لها ذلك لو لا ملاءمة ساحلها لرسو السفن الكبيرة ، ولتحكمه في مدخل البحر الأحمر[٢٩].

بلغت مقديشو ذروة تطورها بين القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين[٣٠]. ويبدو ذلك في الثراء الذي حل بسكانها مما جعلهم يعيدون بناءها بالحجار بدلاً عن مبانيها الطينية القديمة والخشب[٣١]. وكان سكانها يبحثون عن كل ما يطور حياتهم الاقتصادية فكانوا يبحثون عن الذهب الذي وجدوه في بلاد سوفلا بموزنبيق [٣٢].

وقد تثنى لأهل هذه المدينة أن يحكموا الساحل الشرقي لإفريقيا زمناً حتى داهمها الانحلال بسبب الانقسامات الداخلية التي ضربت حكومتها المركزية في نهاية القرن العاشر ، فضعفت قوتها العسكرية الأمر الذي مكن المهاجرون الجدد وهم الشيرازيون من السيطرة على ما تحتها من إمارات عربية ، وأقاموا دولة مكانها عرفت بدولة الزنج ، متخذين من كلوا عاصمة لها (٣٣).

بـــــــروادة:

أما برواة فهي من المدن التي أنشأها العرب الذين قدموا إلى الساحل منذ أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وقيل إن الذين أنشأوها هم الإخوة السبعة الذين أنشأوا لاموا قبلها(٣٤).

فإن يكن هذا أو ذاك إلا أنه من المرجح إنشاؤها في أيام عبد الملك بن مروان ومن أرسلهم من سوريا، وذلك لكثرة الروايات التي ترد تأسيسها إلى عبد الملك بن مروان والذين أرسلهم.

يقول: Stigand إن برواة هي أحدى المراكز التي يرجع إنشاؤها إلى عبد الملك بن مروان الذي دفع العرب السوريين إلى شرق إفريقيا تحت قيادة الأمير موسى في سنة ٧٠٥م ليمد نفوذه فيه . لما وصلوا إليه أنشأوا المدن والأمارات ثم جعل موسي على كل منها والياً من قبله لينوب عنه في حكمة (٣٥).

تقع برواة شمال نهر جوبا ، وقد وصفت هذه المدينة بكثرة أحيائها ومنازلها التي بنيت بالحجر ، والمساجد التي أقيمت فيها ، وحدد الأثريون أنها تعود إلى القرن التاسع الهجري من النقوش التي وجدت فيها .

تذكر إحدى الروايات أن رجلاً يدعى أو على هو أول من سكن فيها في حوالي ٩٠٠م ، وأزال أشجارها مع من سكنوا فيها إذ كانت غابة موحشة ، فعرفت ببراوة أوعلي (٣٦). وقيل أن اسمها يرجع إلى ملك الجالا براوات.

بدأت هذه المدينة بمساكن معدودة ، ثم أخذت تزداد وتكبر بوصول المهاجرين العرب ، فوفدت إليها قبيلة طيء العربية في حوالي ٩٠٠م ، ومجموعات أخرى من مسلمي الصومال المعروفين بقبائل التن ، ثم الجالا الذين على رأسهم براوات.

فلما كثر عدد المسلمين فيها تعددت مساجدها وزواياها ، وعمرت هذه المساجد حتى صارت كعبة علم، يؤمها طلاب العلم من كل مكان للنهل من فيض علمائها الذين ذاع

صيتهم ، لحفظهم كتاب الله، وإجادتهم له، ومعرفتهم بعلومه من تجويد وتفسير وغيره. وكان الطلاب يتلقون فيها علوم اللغة العربية ، وقد أطلق على هذه المساجد أسماء الخلفاء الراشدين ، وكثر فيها المتصوفة.

وفد إليها جماعة الحمرايين من الصومال ، فعاش المسلمون فيها رغم تعدد المناطق التي جاءوا منها في محبة وسلام[٣٧].

وذكر DeBarros أن الإخوة السبعة نزلوا في براوة حين مقدمهم من الجزيرة العربية، ثم رحلوا عنها حينما بدأوا يتاجرون في الذهب مع سوفالا[٣٨].

باتـــا :

تكاد تجمع الروايات على بعض المدن العربية التي قامت على الساحل الشرقي لإفريقيا تعود إلى عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ، إذ يذكرون له تشجيعه للسوريين بالهجرة إلى ساحل أفريقيا الشرقي ، بل إرساله لابنه حمزة إلى هناك من أجل بث الدعوة الإسلامية كما يذكر Captain Stigand وبالتالي ينسب تأسيس باتا إلى هذا الرجل والذين بعثهم إلى الساحل في سنة ٧٧هـ[٣٩] .

كتب Freeman في كتابه The East African Coast أن سليمان بن سليمان بن المظفر حاكم مسقط قد نزل جزيرة باتا عند هجرته إلى ساحل شرق إفريقيا على أثر النزاع الذي نشب بينه وبين العرب في عمان ، ووجد المجموعة التي أرسلها عبد الملك بن مروان ، فبقى فيها ومن معه فترة .ثم جاءته سفن وأموال منح منها شيخ باتا وجميع كبار السن فيها ، ثم أعطى صغارها ، فأدرك سكان هذه الجزيرة جود سليمان وبذله للمعروف ، ولم يقف عند هذا الحد بل زاد في تقربه من أهل باتا ، عندما صاهرهم بزواجه من ابنة السلطان إسحاق حاكم باتا ، فلما بنى بابنته وقضى معها سبعة أيام تنازل له إسحاق عن حكم الجزيرة إكراما له ولابنته [٤٠].

بدأت هذه الأسرة النبهانية تحكم هذه الأماره منذ سليمان بن سليمان ، ثم تعاقب أبناؤه على حكمها بعد وفاته في سنة ٦٢٥ م ، ولما جاء إلى السلطة فيها ابنه سليمان من زوجته بنت إسحاق اتخذ لنفسه لقب سلطان كأول من تلقب بهذا اللقب من هذه الأسرة. كان رجلاً محبوباً بين سكان باتا بكرمه ولأنه ابن بنت جلدتهم ، ولكونه ابن المدينة ومن مواليدها ، فلما مات هذا السلطان خلفه ابنه أحمد الذي كادت أن تقع في عهده فتنة بينه وأخويه عندما حاول بعض الأفارقة الإيقاع بينهم لولا أن الحكمة التي كانت تتمتع بها

أمهم ووزير والدهم فحقنت الدماء . ومن ثم تداول بني نبهان الحكم في هذه الجزيرة . فمن الذين حكموا باتا السلطان محمد الذي خلع على نفسه لفظ السلطان المعظم للأعمال الجيدة التي قام بها ، وعمر الذي غزيت الجزيرة في أيامه لكنه استطاع بقوة شكيمته وتكاتف جهود أتباعه أن ينتصر في جميع المعارك التي خاضها ضد أعدائه. ظلت الجزيرة في معارك مع جيرانها حتى جاء الاستعمار البرتقالي(٤١)..

ويلاحظ أن هذه الجزيرة قد بلغت نضجها واكتمل نموّها الإداري والسياسي في أيام الأسرة النبهانية. يقول : Hichens أنها قد انفردت بتقاليد لاءمت بين الضرائب والنشاط الاقتصادي لشعبها ، فكانت ضريبة الإنتاج ١٠٪ تذهب إلى خزينة الدولة (٤٢).

وكتب :Freeman عن سكان باتا فقال : إنهم رجال محاربون ظهرت ملكاتهم الحربية في الحروب التي خاضوها ضد من حاول النيل من بلادهم(٤٣).

وكان لباتا جيش قوي مكنها من بسط سيطرتها على كل الساحل الشرقي لأفريقيا (٤٤).

لعبت هذه الأماره دورا بارزا في تاريخ ساحل شرق إفريقيا ، خاصة بعد ضمها لكسمايو وبراوة ومقديشو في عهد السلطان محمد شانقا ، ومالندة وكلوه في عهد أبنائه(٤٥).

وبهذا رأينا كيف كان أمر هذه الدولة في أيام حكم بني نبهان ، إذ بلغت ذروة مجدها ونظمت اطر حكمها ، وكيف برزت خاصة في أيام حكم عمر الأول ١٣٣٢- ١٣٥٨م. وكما هي برزت قوتها وحكمت الساحل الشرقي لإفريقيا ، أيضاً ضعفت وخضعت لبعضها في فترة من الفترات. كخضوعها لأمارة كلوه التي خضع لها الساحل كله عدا مقديشو(٤٦). وبقيت حتى نهاية أمرها تحت سيطرة دولة الزنج حتى جاء البرتغاليون في منتصف القرن السادس عشر.

لامـــــــو:

هي أول إمارة أسلامية قامت على الساحل الشرقي لإفريقيا (٤٧). وذكر أن جماعة من أهل عمان ينتسبون إلى قبيلة الأزد قدمت إلى الساحل بقيادة الحاج سعيد وظهرت هذه الإمارة وبوصولهم إلى منطقة لامو شمال ممبسا في بداية القرن الثامن الميلادي وهذه المجموعة اندفعت نحو ساحل شرق إفريقيا تحت ضغط بني أمية ، وقد حكموا هذه الإمارة وفقاً لمذهب الخوارج الذي كان يعتقده أزد عمان (٤٨).

يقول حسن أحمد محمود مستنداً إلى رواية Hichens في كتابه الإسلام في شرق إفريقيا أن الهجرة العربية الأولى التي وصلت إلى لامو قام بها فريق من أهل الشام لم

يرضوا عن سياسة الحجاج ابن يوسف ، وكان عددهم حين وصولهم إليها عظيماً ، وحقق لهم هذا العدد الضخم الغلبة على سكانها الأصليين (٤٩).

استوطنها في القرن العاشر الشريف ابوبكر ابن يحيى بن محمد الرمحي بن آل الأهدل ، ثم آل العمري ، وآل الشيخ أبوبكر بن سالم آل الحسيني (٥٠). وكان لهذه المدينة سور من الحجارة (٥١).

بمبـــا :

بمبا هي جزيرة صغيرة تقع شمال زنجبار ، مساحتها نصف مساحتها وتفصلها عن القارة الإفريقية قناة يتراوح طولها بين ٣٥-٤٠ ميلاً عن القارة الإفريقية (٥٢) طولها تقريباً اثنين وأربعين ميلاً ، وعرضها أربعة عشر ميلاً. أي أن مساحتها لا تتعدى ٣٨٠ ميلاً مربعاً (٥٣). والأمطار في هذه الجزيرة غزيرة جداً يبلغ متوسطها ٧٥ بوصة، وهي تكثر في شهري أبريل ومايو، ودرجة الحرارة فيها تصل إلى ٧٦,٦ درجة فهرنهايت (٥٤).

وصفت هذه الجزيرة بالجمال، فقيل أنها لؤلؤة المحيط الهندي، وكان العرب يطلقون عليها الجزيرة الخضراء لما تتمتع به من خضرة وجمال وقيل أنها من أجمل بقاع الدنيا، لذلك أخذت سمعة طبيعية في شرق إفريقيا كأنها فاتنة بما فيها من ذلك الجمال (٥٥).

تقع في مواجهة ساحل تنجانيقا، ولظروفها المناخية المتمثلة في رطوبتها وكثرة أمطارها، وخصوبة تربتها، زرعت بالقرنفل والأرز، وعمل سكانها بالزراعة، وخاصة زراعة القرنفل الذي يعملون في حقوله أجراء لمالكيه العرب، مقابل جزء من الإنتاج(٥٦).

يقول Ingrams في كتابه زنجبار التاريخ والناس أن هنالك رواية تتحدث عن بمبا في أيام الشيرازيين وقبلهم ، أنها كانت تتكون من خمس مقاطعات هي تواكاه ، ومكومبو ، وايتزى ، ونقوان وبوكمبو وكل منطقة من هذه المناطق تضم سبع مدن(٥٧). وهناك روايات أخرى لا تتفق مع هذه الرواية ، وتختلف عنها كثيراً لكن الحفريات الأثرية كشفت عن بعض المدن والمساجد التي أقيمت فيها.

وسكان هذه الجزيرة سود البشرة، ورجالها متوحشون، ويبين توحشهم أنهم يعملون للتجار الأجانب في أعمال شاقة مقابل أكل يقدم إليهم (٥٨). وعلينا أن ننظر مدى التباين الذي عاشته هذه الجزيرة، من سكان انقسموا في حياة الترف والبذخ ووصلوا حد الرفاهية، وآخرين تغريهم لقمة العيش ليبذلوا من أجلها طاقة جبارة في أعمال شاقة. لكن ليس غريباً ؛ لأن التاريخ مسرح يتعاقب عليه الممثلون ونحن نرى مثل هذا الحال في العالم الذي نعيش فيه اليوم.

وقعت هذه الجزيرة تحت سيطرة كلوه عندما بسطت سيطرتها على كل الساحل الشرقي الإفريقي عدا زنجبار التي استطاعت أن تفلت منها في القرن الثالث عشر للميلاد ، وبقيت بمبا تحت سيادة كلوه حتى جاء الاستعمار البرتقالي، فأصبحت مع زنجبار أكثر البلاد علاقة مع الوضع السياسي الجديد بعد أن كانت أقل مستوى سياسياً قبله.

زنجبــــار:

اسمها السواحيلي القديم انقوجيا Unguja ، لكن اسمها الحالي هو لفظ كان يطلقه العرب على الساحل الشرقي لإفريقيا جنوب مقديشو ، فكانوا يقولون ساحل الزنج ، إذ إن الاسم مركب من كلمتين هما زنج وبار ، فزنج تعني السود في الفارسية كما أن بار تعني الساحل وبمرور الزمن أصبحت تطلق على الجزيرة المعروفة بزنجبار الآن (٥٩).

يقول الميجور بيرس أن زنجبار مأخوذة من زنج التي تعني السود ، وبار تعني الساحل أي: زنج الساحل(٦٠). كما هو في اللغة العربية.

زنجبار هي جزيرة صغيرة تقع في المحيط الهندي، تقابل الساحل الإفريقي على خط طول ٦ جنوب، ويفصل بينها وبين القارة الإفريقية اثنان وعشرون ميلا ونصف طولها بين الشمال والجنوب ٤٢ ميلا وعرضها ١٥ ميلا (٦١) ومساحتها ٦٤٠ ميلاً مربعاً .أي أن مساحتها ضعف مساحة جارتها بمبا.

تمتاز هذه الجزيرة بمناخ رطب وحرارة عالية تتراوح بين ٢٠ً-٣٠ً أمطارها غزيرة تصل إلى ٥٦ بوصة في متوسطها (٦٢) هذه الظروف المناخية جعلت منها أرضاً جاذبة للمهاجرين العرب، الذين هاجروا إليها في دفعات متعاقبة، ثم حكموها زمناً طويلاً حتى القرن العشرين باستثناء فترة سيطرة كلوة وأيام الاستعمار البرتغالي والانتداب البريطاني.

اتصل العرب بهذه الجزيرة منذ زمن قديم ، يرجعه رجبي Colonel Rigby إلى ٢٤ ه ويقول إن الذين جاءوها في ذلك الوقت جزء من قبيلة الحارث، فعملوا في التجارة يجمعون منتجاتها المحلية ويصدرونها عبر الساحل (٦٣). ومن بعد ذلك جاءتها أسرة علي بن حسن الشيرازي، نسبة إلى شيراز من أرض فارس، رغم أن المؤرخين قد اختلفوا في انتمائهم إلى الفرس. وكانوا قد مروا على كل من مقديشو وبراوة وكونوا بعد ذلك ما عرف بإمبراطورية الزنج التي حكموها من عاصمتهم كلوة في عام ٩٧٥م.

ذكر جون جنتر الذي زار هذه الجزيرة في كتابه داخل إفريقيا أن سكانها ينقسمون إلى إفريقيين يعرفون بالشيرازيين، أي الأفارقة الذين غزاهم الشيرازيون، والقسم الثاني

هم المهاجرون أي العبيد الذين جلبهم العرب إلى جزيرة زنجبار من تنجانيقا ونسيالاند وغيرها (٦٤) .

ويواصل واصفاً لسكانها، أن الأفارقة والعرب قد انصهروا حتى وصلوا درجة يندر أن ترى إفريقيا واحداً خالصاً في الجزيرة إلا الذين جاءوها حديثاً، ويقول عن العرب في زنجبار أنهم كانوا يشكلون ارستقراطية، ويسيطرون عليها ويمتلكون مزارع القرنفل مع السواحليين، ويسيطر الهنود على التجارة فيها. أما الأفارقة فهم الذين يقومون على فلاحة الأرض (٦٥) وقد قال عن هذه الجزيرة: أنها كانت جنة المحيط الهندي المنعزلة (٦٦).

ولكل ما تقدم أصبحت زنجبار من أشهر الممالك العربية التي قامت على ساحل شرق أفريقيا، وامتد تاريخها عدة قرون، فكثر عدد سكانها واتسعت رقعتها حتى شملت الإمارات العربية الممتدة من جنوب مقديشو في الشمال وحتى سوفالا في الجنوب، وقد شكلت إمبراطورية عرفت بإمبراطورية الزنج التي عملت على نشر الإسلام في إفريقيا (٦٧).

ويمكننا القول أن العرب هم الذين طوروا هذه الجزيرة وهم الذين يرجع إليهم تطوير اقتصادها بعد أن سيطروا عليه زمناً طويلاً (٦٨). وهم الذين أدخلوا فيها زراعة القرنفل الذي أصبح مصدراً أساسياً لاقتصاد الدولة الحديثة المعروفة بهذا الاسم ، فجزيرة زنجبار تنتج أكثر من نصف إنتاج العالم من القرنفل،(٦٩).واشتهرت الجزيرة باسم جزيرة القرنفل فلذلك عرفت بجزيرة التوابل(٧٠).

زنجبار هي أولى الجزر التي جاءها العرب، والفرس المعروفون بالشيرازيين ولما نزلها العرب سكنوا في الأماكن التي تصلح للدفاع ضد الهجمات المتوقعة من الأعداء سواء كانوا من الأفارقة المواطنين أو من المهاجمين الأجانب عن طريق البحر فسكنوا الجزيرة الصغيرة المسماة تومباتو ومكمبازي على ساحل زنجبار(٧١). والذين سكنوا من العرب فيها أقاموا دوراً للعبادة وغيرها منفعة لأهلها ومن الذين أقاموا مؤسسات: الشيخ سعيد بن عمران الذي أسس مسجداً في جولفادوا عام ٥٠٠هـ-١١٠٧م وقد بنيت المدينة بالحجارة وكانت على مستوى عال من الرفاهية (٧٢).

ذكر داربوسا Barposa أن جزيرتي زنجبار وبمبا قد وصلتا في بداية القرن السادس عشر الميلادي إلى درجة كبيرة من الرفاهية، مأكلاً وملبساً وغيره، فكانت فيها وفرة في الغلال المتمثلة في الأرز والدخن وكذلك الأسماك، وفي الملبس، لبسوا الثياب الحريرية والقطنية التي اشتروها من التجار الهنود الذين يجلبونها من بمبا، ولبست نسائهم الحلي الذهبية والفضية المنقولة من سوفالا (٧٣).

كلوة:

ذكرها ابن بطوطة كلوة بضم الكاف خلافاً لياقوت الذي كتبها بكسر الكاف، ويرى Freeman أن كلوة بالكسر هي الأصح لأن الجزيرة التي تحمل هذا الاسم تشبه كلوة الإنسان [٧٤].

عثر الأثريون الذين نقبوا عن آثار تلك المدينة على جزئها النهائي من الناحية الغربية، ووجدوا فيه حظيرة كبيرة فيها مبنى كان معروفاً بما كاوتني. وشملت غرائب المدينة الأماكن الخاصة للسلاطين الذين حكموا في الفترة التي بين نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر، وقد سورت بسور دفاعي في شكل مثلث.

دلت بقايا هذه المدينة على النهضة التي بلغتها كلوة، خاصة في بناء المساجد وأيضاً ما وجد في ما كوتاني غطى فترة القرن الخامس عشر [٧٥].

تقع كلوة في جنوب دار السلام وتبعد عنها حوالي ١٥٠ ميلاً على خط عرض ٨ جنوب. وعرضها أربعة كيلومترات وطولها ستة كيلومترات وتمتد من الشمال إلى الجنوب، وقيل إن استيطان هذه المدينة ربما يعود إلى القرن التاسع عشر الميلادي [٧٦].

تكاد تجمع معظم الروايات أن الذي أسس كلوة هو مهاجر من شيراز، رغم الاختلاف في من هو ومتى وتقول إحدى الروايات أن الذي أسس كلوة المدينة وكلوة الإمارة ومن ثم الإمبراطورية التي عرفت فيما بعد بإمبراطورية الزنج، هو رجل فارسي كان يحكم بلاد شيراز، اسمه الحسن بن علي [٧٧].

وقيل أن الذي كان يحكم شيراز كما جاء في مخطوطة هو داهرش بن شاحا الذي خرج من شيراز مع أخوته الثلاثة، وأخته وأبنائها الثلاثة وأسرهم إلى الجزر الواقعة في ساحل شرق إفريقيا، مثل بمبا وممبسة وباتا وزنجبار وباتاي التي استفهم عنها Ingrams تومباتو [٧٨].

يعود Ingrams ويقول أن الذي أسس كلوة هو علي بن حسن، حينما تكلم عن أحد أسلافه الذين حكموا زنجبار ويقول :Freeman أن الذي جاء من شيراز هو الحسن بن علي الذي كان يحكم شيراز، مع سبعة من بنيه إلى الساحل الشرقي لإفريقيا ، فأسس هذه الإمارة [٧٩].

وقد صاغ من كتب عن كلوة روايات عديدة عن الأسباب التي قادت الشيرازيين لمغادرة بلادهم إلى ساحل شرق إفريقيا ومن ثم تأسيسهم لدولتهم في كلوة.

يروى أن الحسن بن علي حاكم شيراز قد رأى في منامه أن فأراً ذو خرطوم من حديد

يعمل على هدم جدار لهم في شيراز ، ففسر الحسن بن علي هذه الرواية ، بأن بلاده سيصيبها الدمار والخراب، ولابد من الخروج منها إلى مكان أفضل. انتظر حتى بدأت الرؤيا تتحقق، عندها أجبره أولاده الستة بما رأى، وطلب منهم الرحيل، ولكن أبناءه رأوا أن ينتظروا فيها حتى يقنع وزراءه ورجال بلاطه ورعيته بالرحيل، لا يمكن أن ينسحبوا لوحدهم دون مبرر وهم حكام البلاد. اتفق مع أبنائه على أن يضربه أكبرهم في وجهه وسط حاشيته، حينما يعنفه، فتكون تلك النقطة التي منها تنطلق السفن مبرحة إلى ساحل شرق أفريقيا (٨٠).

وروي غير ذلك عن أسباب خروجهم من شيراز. إذ يرى Hichtns أن الحسن بن علي الشيرازي إنما فر من بلاده أمام طغرل بك السلجوقي الذي غزاها في عام ٤٤٧هـ-١٠٥٥م (٨١).

ومُحي الدين الزنجباري صاحب كتاب السلوة في أخبار كلوة يرد هجرة الحسن بن علي حاكم شيراز إلى شرق أفريقيا إلى رغبته في الحصول على الذهب الذي سمع بوفرته فيها (٨٢). وحدد تاريخ تأسيس هذه المدينة وبالتالي الإمارة. أواخر القرن العاشر في ٩٧٥ وبقيت هذه الأمارة حتى مقدم البرتغاليين إلى ساحل شرق إفريقيا، كأول دولة إسلامية بهذا الحجم قامت في هذا الجزء من إفريقيا (٨٣).

وقيل أن المهاجرين المسلمين بنو هذه المدينة في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، وحكمت أسرة عمانية وقتها جزيرة زنجبار وموزنبيق وسوفالا.

نزلت هذه المجموعة الشيرازية التي وصلت إلى شرق إفريقيا في القرن العاشر تحت قيادة الحسن بن على الشيرازي مستخدمين سبع سفن نزل من فيها متفرقين في ممبسة وبمبا وكلوة وجوهاب، وقد استطاع قائدهم أن يؤسس دولة حاضرتها مدينة كلوة عرفت بدولة الزنج (٨٤).

أما كيف استطاع هولاء أن يتفردوا بكلوة التي وجدوا أحد الأفارقة وثني المعتقد يسيطر عليها، وروى أن الحسين بن علي حينما نزل الجزيرة وجد فيها أحد المسلمين يدعي ميروير(٨٥) .كما في كتاب السلوة في أخبار كلوة. وفي كتاب Freeman ساحل شرق أفريقيا، اسمه مور يري ود واري، فاخبرهم عن الجزيرة وحاكمها الوثني الذي ينتمي إلى قبيلة المولي وأخبرهم عن خروجه للصيد وعن وقت عودته ولم يلبث الشيرازي غير أيام معدودات حتى التقى بالوثني وصرح له بإعجابه بالجزيرة، ورغبته في الاستيطان فيها، وبيعت له فدفع ثمناً لها قماشاً ملوناً يبلغ طوله ما يحيط الجزيرة.

وافق القادم على الثمن ودفع القيمة كما طلبت منه ثم حمل الوثني القماش ورحل

عن الجزيرة إلى «مولي» واضعاً في اعتباره العودة إليها والقضاء على الشيرازيين بعد أن يستفيد من الثمن الذي دفعه إليه، ثم يتخلص منهم. ولكن المسلم موروريري اخبرهم بأن يتخذوا لهم حيله تقيهم مكر هذا الكافر الذي يحب جزيرته، وأنه لا محال عائد إليها ولن يتنازل عنها، وأنه سيقضي عليهم.

حفر الشيرازيون الأرض التي ينخفض عنها الماء ويستخدمها الوثني للعبور إلى مولي فامتلأت بالماء فلما عاد وجدها قد ملئت ماءً ولا سبيل إلى الوصول إليها فانتظر أيام لينقص الماء ولكن هيهات. فعندها عجز عن العبور وعاد إلى مولي آسفاً لما فعل وغاضباً على ضياع الجزيرة منه (٨٦).

بهذا خلت الجزيرة للشيرازيين الذين حكموها متعاقبين حتى بلغ عددهم اثني عشر حاكماً كما عدهم ديباروس (٨٧). أولهم السلطان علي بن الحسن الملقب نقونقي التي تعني كثير الثياب في منتصف القرن الثالث الهجري وقيل إنه غادرها إلى مافيه التي أحبها وتركه كلوة لابنه الملقب محمد واتوا MkomaWlatu فحكمها سنتين ونصف ثم مات وحكمها بعده أخوه باشات بن علي، ويعتبر هذا أول حاكم مستقل بما في يديه بعد موت أبيه فحكم أربع سنوات ونصف.

وقد حكم أبوهم علي بن الحسن أربعين سنة، ونجد أن ابنه علي الذي حكم أربع سنوات ونصف قد تصدر الأوامر وتقدم علي أعمامه سليمان بن علي بن الحسن بن داؤد. خلفه عمه داؤد بن علي لمدة سنتين بدلاً عنه، ثم رحل إلى مافيه لزيارة قبر أبيه فأعجبته واستقر فيها ولم يعد إلى كلوة، وحكمها على ابن داؤد بن علي بن الحسن وهو آخر من حكم من ذرية علي بن الحسن الشيرازي(٨٨). اضطرب أمر الحكم فيها زمناً ثم قاد الشيرازيون حملة على سكان كلوة الأفارقة وانتصروا عليهم وسيطروا على الحكم فيها فكان خالد بن بكر حاكماً عليها، إلا أن أبناء كلوة توحدوا وقرروا خلعه ونفيه إلى خارج الجزيرة. حكم بعده الحسن بن سليمان بن علي بن الحسن مؤسس كلوة أثنتي عشرة سنة وفي السنة الأخيرة هاجمه الماتاندلين (سكان الجزيرة من الأفارقة) للمرة الثانية وسيطروا عليها ونصبوا محمد بن الحسن المانديري، وذكر اسمه في خطبة الجمعة (٨٩).

تحكمت كلوة في طرق التجارة إلى روديسيا شمال سوفالا في الفترة الأخيرة من القرن الثاني عشر وبهذا مضت في طريق التطور والتقدم. وحدث ذلك في عهد سليمان بن الحسن بن داؤد الذي حكم بين ١١٧٠-١١٨٨م، وبذلك أصبحت كلوة سيدة تجارة الذهب في ساحل شرق أفريقيا ومن ثم خضعت لها المنطقة حتى شمال جزيرة بمبا، وقد شيدت قلعة من الحجارة دليلاً على ثرائها، وتحولت من منطقة صغيره إلى مدينة كبرى (٩٠).

بهذا التوسع غدت كلوة دولة كبيرة تسيطر على الساحل الشرقي وعلى تجارته وتطورت في أساليبها في الإدارة والحكم. فنجدها فرضت على التجارة المارة ضريبة تدفع للدولة، تؤخذ من حمولة السفن القادمة ومن البضائع المحلية، فهي لم تكن تتاجر بنفسها في الذهب والعاج ولكنها تسيطر على التجارة الأمر الذي جعلها تصك النقود لتسهيل التعامل [٩١].

ظلت تسيطر على هذا الساحل وإن كانت سيطرتها ناقصة حتى جاء الاستعمار البرتغالي في نهاية القرن الخامس عشر.-

موزنبيق :

تقع موزنبيق في جنوب شرق إفريقيا على خط عرض ١٠ ،٤٠ جنوباً ، يمر مدار السرطان جنوبها ويجري في وسطها الجزء الأدنى من نهر الزمبيزي ، وتتاخمها في الغرب خمس دول هي تنجانيقا في الشمال وملاوي المتوغلة في قلبها وزامبيا في شمالها الغربي وردوسيا في الغرب ، وجمهورية جنوب إفريقيا في الجنوب الغربي.

يمتد ساحلها على المحيط الهندي حوالي ١٢٥٠ ميلاً ، وسهلها الساحلي متسع وفي شمالها وغربها مرتفعات. مناخها رطب حار لانخفاض سطحها ، ومتوسط أمطارها ٤٠ بوصة [٩٢].

يقصد بموزنبيق المنطقة التي أدارتها شركة برتغالية احتكارية حتى عام ١٩٤١م وسبب تسميتها بهذا الاسم أن المنطقة كانت تعرف قبل مجي الاستعمار البرتغالي باسم موسى بن بك السميق، فحرفها البرتغاليون إلى موزنبيق [٩٣].

وصلت بعض الأفواج الإسلامية إليها في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، وكانت عبارة عن تجار عرب وبعض اللاجئين من الجزيرة العربية والخليج. أخذت موزنبيق الطابع الإسلامي في القرن الخامس الهجري. ومارس المسلمون فيها شؤون الحكم ونظموا التجارة. فذكرت بعض الروايات أن هنالك مجموعة جاءتها من مكة ومن زنجبار ومن مراكز المسلمين والعرب في ساحل شرق إفريقيا ٩٤. سيطرت عليها كلوة بعد إقصائها لمبسا وبقيت على تلك الحالة حتى جاء البرتغاليون فوجدوا أن ملكها يحكمها نيابة عن حاكم كلوة.

سوفالا:

تعود أهمية هذه المدينة من بين المدن التي أقام فيها المسلمون والعرب في ساحل شرق

إفريقيا إلى كثرة الذهب والحديد فيها . وقد علمنا أن من أهم الأسباب التي قادت العرب إلى الهجرة إلى هذه المناطق هو وجود الذهب فيها ، فعملوا في تجارته.

تقع سوفالا في أقصى جنوب أرض الزنج [٩٥]. بين خطي ٣,٥٠ وعرض ٢ شمال خط الاستواء. أطلق عليها العرب سفالة الزنج، ويدل ذلك على أنها كانت آخر نقطة في أرض الزنج وهي الأرض الممتدة من جنوب مقديشو وحتى مصب نهر الزمبيزي، وهي آخر نقطة وصلها العرب في إفريقيا في ذلك الوقت، سوفالا هي المركز التجاري لمعدن الذهب الوارد من إمبراطورية الزنج التي أسستها قبيلة الشونا shona (هي فرع من فروع قبيلة البانتو) في مرتفعات هضبة روديسيا. وهذه المدينة أنشأها العرب الذين عاشوا في كلوة من قبل لتكون محطة للذهب الذي عملوا في الاتجار فيه [٩٦].

يورد د. حسن إبراهيم حسن إبراهيم أن استيطان العرب في سوفالا بين الفترة فيما بين ٥١٠م و ١٢٢٠م ويؤكد ذلك قصة رويت عن بعض البحارة العاملين إلى سوفالا في سنة ٩٢٣م، ويقول: أن ملاحاً يدعى إسماعلوية غادر عمان إلى قنبلة (مقديشو) لكن عاصفة بحرية دفعت السفينة إلى سوفالا فتملكه ومن معه الخوف من المصير الذي يواجههم فيها، إذ كانوا يعلمون أن سكانها يأكلون الناس، فلما رست السفينة أخذ البحار والتجار الذين معه وأرغموا على البقاء في المدينة لبضعة أشهر ثم سمح لهم بمغادرتها [٩٧].

ومثل هذه الأقاصيص تحمل نوعاً من المبالغة هي من باب الروايات الخرافية، لكن يستفاد منها أن العرب وصلوا إلى سوفالا في الفترة المحددة في الرواية وقطعاً وصل العرب إليها قبل ذلك، أو التقوا بأهلها خلال تجارتهم في الذهب الوارد إليها.

يذكر أبو الفداء أن سكان سوفالا مسلمون ويسكنون جنوب خط الاستواء. وأن أكثر معايشهم من الذهب والحديد ولباسهم جلود النمور، ولاتعيش في بلادهم الخيول ، ويقاتل عسكرهم على ظهور الأبقار[٩٨]. وهي مشهورة بالذهب ويكثر فيها معدن الحديد وحديدها من نوع جيد يفضله الهنود ويصدر إليهم[٩٩].

وفيها التبر الذي لايعادله تبر في الطيب والكثرة والعظم ، وقيل أهل سوفالا رغم كثرة التبر إلا أنهم يفضلون النحاس على الذهب في حليهم [١٠٠]. جعل منها وجود المعادن مركزاً مهماً للتجارة استفادت منه دول عديدة إفريقية وعربية ، إفريقيا استفادت منها مملكة الشونة في زمبابوي الكبرى فصارت قمة في الثراء ، وعربياً مدينة كلوة التي صارت أهم المدن الواقعة على ساحل شرق إفريقيا وأكثرها ازدهارا [١٠١] بسبب بسط سيطرتها عليها وتحكمها في تجارة الذهب فيها بغرض الضرائب عليها.

وصف بعض الكتاب هذه المدينة بل المنطقة وان صح نقول الدولة منهم زكريا بن محمد القزوي بكثرة الذهب وسواد سكانها، ووجود الحواري (نوع من أنواع الطيور يعيد مايسمع بلفظ صحيح أفضل من الببغاء، متعددة الألوان) وأن أهلها يأكلون الذباب (١٠٢). لكنه رد أكلهم للذباب إلى محمد بن الجهم ، وكأنه لم يسلم بهذه المعلومة التي أريد منها التقليل من شأن سكان المنطقة السود، كما بعضهم يصفهم بأكل لحوم الناس، فهذه أوهام كانت تسيطر على أذهان الناس تجاه السود، وبما كانت حتى وقت قريب يسمع بها وتحكى.

أما Freeman فيقول أن دولة سوفالا تتكون من مدن هي باثينا التي تقع في نهاية خليج عظيم ، يبعد عن خط الاستواء ، بين خطي عرض اثنين ونصف وطول ٧٨ شمالاً . وفي غربها سلسلة جبلية ناتاة في البحر امتداداً في اتجاه الشمال الشرقي ، بطول مائة ميل وتعرف هذه السلسلة بجبال أدجويد. وحركة البحر في هذه المنطقة تحدث صوتاً عالياً. ويقول: أن سكانها يقيمون في منطقة واقعة على مصب النهر الذي ينبع من مرتفعات القمر ويسكن فيها ملك سوفالا. والمدينة الثانية ليرانا ، وقد قيل أنها كانت ميناء كبير ترسو فيه السفن ومنه تبحر ويعتقد سكانها الإسلام ويمارسونه تعبداً ، وهي تقع على خط طول ١٠٢ وعرض ٣,٠ شمال خط الاستواء في خليج كبير.

المدينة الثالثة هي داهوتا Daghuta أكثر مدن سوفالا سكاناً . بل وتقع بين خطي طول ١٠٩ وعرض ١٢ شمالاً، سكانها مسلمون (١٠٣).

ويروى الرواية نفسها أبو الفداء مع وجود اختلاف في الأسماء والمسافات.

سيطرت بعض الإمارات العربية الإسلامية على سوفالا في فترات متفرقة آخرها إمارة كلوة التي نظمت التجارة فيها وجبت منها الضرائب.

خاتمة:

استمرت هذه الدول والدويلات الإسلامية بساحل شرق أفريقيا وإن حكمت بعضها الآخر حتى مجيء البرتغاليون الذين قضوا عليها في بداية القرن السادس عشر الميلادي، وقد قدمت هذه الدويلات والإمارات خدمات جليلة ثقافية وتجارية وحضارية بساحل شرق أفريقيا.

الهوامش:

1- Coupland R.., East Africa and its Invadord ,1968 p.15-

2- Coupland ,R.,op.cit,p.18

٣ - جعفر عباس حميدي: تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر ، (عمان-دار الفكر-٢٠٠٢م)، ص٢٣.

٤ - د.حسن أحمد محمود:الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا- ج١(القاهرة - دار النهضة -١٩٦٣م)، ص٤٣٤.

5 - Coupland R,. History of East Africa ,V,I,Oxford,1963 p.106

6- Coupland R, OP ,cit , pp.15-16

أنظر: أ.د مصطفى محمد مسعد: إنتشار الإسلام في قارة إفريقيا-ط ٢ (القاهرة -مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦٣م) .ص٢٨

٧ - د.غيثان بن علي بن جريس: بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية-ج٢ ،(السكندرية - دار السماح - ١٩٩٧م)، ص٧٢.

٨ - مبارك علي الهناني: العثمانيون وقلعة مبسة، سلسلة ترثنا- العدد التاسع ط ٣ ، (عمان وزارة التراث القومي ١٩٩٤ م)ص٩

٩ - د.عبد الرحمن عمر الماحي: الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل، (الشارقة-دائرة الثقافة والإعلام- ١٩٨٩م) ،ص٢٦

١٠ -عائشة علي السيار: دولة اليعاقبة في عمان وشرق إفريقيا، (بيروت - دار القدس- ١٩٧٥م) ، ص١٤. وانظر جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، ص٥٩.

11 - Pearce, Zaroibar, Frank 1967 p.39

انظر: مبارك علي الهناني: مرجع سابق ، ص١١.

١٢- أ.د .مصطفى محمد مسعد: إنتشار الإسلام في قارة إفريقية (السعودية- جامعة الإمام محمد بن مسعود- ١٤١٩هـ) ، ص ٥٤٦.

13- Coupland.R., op. cit ,P.20

١٤ - مصطفى محمد مسعود: مرجع سابقن ص ٥٤٥-٥٤٦

١٥ - د.غيثان بن علي جريس: مرجع سابق ، ص ٢٦٣.

١٦ - أ .مصطفى محمد مسعد: مرجع سابق ، ص ٥٤٧.

١٧ - أبن بطوطة:تحفة النظار في عجائب الأسفار ج١-ط٤ (بيروت- مؤسسة الرسالة-١٩٨٥م) ، ص٢٨

١٨ - ابن بطوطة: مصدر سابق ، ص١٧٩.

١٩ - زكريا بن محمد بن محمود القزوي: آثار البلاد وأخبار العباد(بيروت - دار صادر - ١٩٩٨م)،ص ٦٢ .

٢٠ - أبي الفداء: تقويم البلدان، (بيروت - دار الصادر -ب ث) ، ص١٦١.

٢١ - أبي بطوطة: مرجع سابق، ص٧٩م.

٢٢ - زكريا بن محمد بن محمود القزوي: مرجع سابق، ص ٦٢.

٢٣ - أبو الفداء: مرجع سابق ، ص ١٦١.

٢٤ - د.السيد رجب حراز: إفريقيه الشرقية والاستعمار الأوربي ،(القاهرة-دار النهضة العربية-١٩٦٨) ، ص ٤

٢٥ - د. حسن أحمد محمود :الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، مرجع سابق ، ص ٤٣٧.

٢٦ - أبن بطوطة: مصدر سابق ، ص ١٩٣.

٢٧ - د. غيثان بن علي بن جريس: مصدر سابق ، ص ١٦٥ .

٢٨ - نفس المرجع ، ص١٧١.

٢٩ - نفس المرجع-، ص١٦٤.

30- Oliver R,. Histry of East Afria, Oxford,1963,p.107

31- Davidson .b, East and Central Africa to the Ninetieth COENTURY ,London ,1968, p,p.111-112.

٣٢ - د. غيشان بن علي بن جريس: مصدر سابق ، ص ٢٦٧.

٣٣ - نفس المرجع ، ص٢٧٠

٣٤ - حسن أحمد محمود : مرجع سابق ، ص٤٣٧.

35- Stigand,The Land of Zing ,London ,1913,p.29.

٣٦ - د. غشيان بن علي بن جريس: مرجع سابق ، ص ٢٦٨.

٣٧ - د. غشيان بن علي بن جريس: مرجع سابق ، ص ٢٦٩.

38- Oliver.R.,OP.Cit,P.102

39- Ingrams ,Zanzibar its history and its peple , Frank , 1967, p 74.

40- Freeman, The East African Coast , Oxford , 1962 ,p.242

41- Freeman, op. cit, p. 256

42- Freeman, op. cit, p. 244.

٤٣ - د. عمر سالم بابكور: الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا، (مطابع جامعة أم القرى ١٤١٧-هـ)، ص ١٠٣.

٤٤- أحمد محمد محمود: انتشار الإسلام في قارة أفريقيا، مرجع سابق، ص ٤٧٢-٤٧٣.

٤٥- جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، ص ٦٢.

٤٦- دنس بولم: الحضارة الإفريقية - ترجمة علي شاهين ، (بيروت- مكتبة الحياة - بلا تاريخ) ،ص٩٢.

٤٧- حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية ، مرجع سابق ، ص ٣٣٦.

٤٨- د. عمر سالم عمر بابكور: مرجع سابق ، ص ١٠١

٤٩- حسن احمد محمود: مرجع سابق ، ص٤٣٦.

٥٠- د. عمر سالم عمر بابكور: المرجع السابق ، ص٨٨..

٥١- أ.د.جعفر عباس حمدي: مرجع سابق ، ص٣١.

52 -Pearce, Zanzibar, Frank Cass, 1967, p. 3.

53 - Ingrams, op. cit, p. 20.

54 - Ibid, p. 20

55 - Ibid, p.6.

٥٦ - محمد عبد الغني مسعودي: أفريقية، ١٩٧٦م ، ص ٣٣٤- ٣٣٥.
ونظر د. أحمد نجم الدين فليجة، مرجع سبق، ص ٤٤٥- ٤٤٦.أ

57 - Bennett. N., A History of Arab State of Zanzibar, London, 1998, p. 1

58 - Davidson. B., East and Central Africa to Late Nineteenth Century, Nairobi, 1968, p. 100.

59 -Ingrams: Zanzibar its history and its people , Frank Cass, 1967 ,p.24.

60 -Ibid p.20.

61 - Ibid, p.20

62 - Ibid, pp.75-76.

٦٣ -جون جنتر : داخل أفريقيا، (القاهرة- مكتبة الأنجلوا المصرية- بلل تاريخ)، ص٢٧٠

٦٤ نفس المصدر ونفس المرجع

٦٥ -نفس المصدر ، ص٢٧٥.

٦٦ -أ.د جعفر عباس حميدي ، مرجع سابق ، ص٢٨.

٦٧ -د.أحمد نجم الدين فليحة: إفريقية دراسة تحليلة عامة وإقليمة، (الاسكندرية- مؤسسة شباب الجامعة) ، ص ٤٤٥.

٦٨ -د. عمر سالم عمر بابكور: مرجع سابق، ص ٩٨.

٦٩ -نفس المصدر ونفس الصفحة.

70 - Davidson.B0.OP0Cit.p. 101.

71 - Ibid ,p.102 0

72 - Ibid ,p. 101

٧٣ -د. جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية ، مرجع سابق ، ص٣٦.

٧٤ -

٧٥ -أحمد علي محمد:كلوة تاريخها وحضارتها رسالة ماجستير غير منشور-جامعة القاهرة- ١٩٨٣م، ص٢٥-٢٦.

76- Ingrams,OP.Cit, p.131.

77- Ingrams,OP.Cit p. 132.

78- Ibid ,p. 133.

٧٩ -مؤلف مجهول: السلوة في أخبار كلوة-تحقيق -محمد علي الصليبي(وزارة التراث القدسي والثقافي -١٩٨٥م) ص ٢٧-٢٨

٨٠ -فاطمة السيد علي الزين التاريخ السياسي لسلطنة زنجبار الإسلامية ، (مكة المكرمة -نادي مكة الثقافي الأدبي -١٩٩٨م)، ص٣٦.

٨١ -فاطمة علي الزين ، مرجع سابق ص٣٦.

٨٢- فلب رفلة: الجغرافيا السياسية لإفريقيا ،(القاهرة - ١٦٦م) ، ص٣٠٣.

٨٣- مصطفى محمد مسعد: مرجع سابق ن ص ٥٤٨.

٨٤- مجهول: السلوة في اخبار السلوة ، مصدر سابق ، ص٢٩.

85- OP.Cit Freeman p. 36-37 أنظر: السلوة في أخبار كلوة ، مصدر سابق ، ص29.

86- wheeiokm ,op.cit,p 14.

87- OP.Ci Freeman p. 37.

88- Ibid p. 37-38.

89- coupland.R.op.cit,p.112
Davidson B., op.Citp. 1.7

٩٠ - فيلب رفلة، مرجع سابق، ص٦٠٣.

٩١- د.نوال عبد العزيز مهدي راضي: موضوعات في تاريخ غفريقيا الحديث (الخرطوم- جامعة القاهرة بالخرطوم وحدة الطباعة - ١٩٨٦م٩ ، ص ١٦٥.

٩٢- نفس المرجع ، ص ١٩٧.

٩٤- زكريا بن محمد بن محمود الغزاوي ، مصدر سابق ، ص ٤٤.

٩٥ -كولن ماكفيدي: أطلس التاريخ الإفريقي - ترجمة مختار الدسوقي، (الهيئة المصرية العامة للكتب-٢٠٠٢م)،ص ٩٢.

٩٦ - د. حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق ، ص١٨٤.

٩٧- جورج فضيلو حوارني: العرب والملاحة في المحيط الهندي- ترجمة د.السيد يعقوب بكر ،(القاهر مكتبة الانجلوا- ١٩٥٨م)، ص ٢٣٣.

٩٨- أبو الفداء ، مصدر سابق ، ص ١٥٧.

٩٩- أبو محمد عبد الله بن إدريس: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق -ج ١ ، (بيروت- عالم الكتب- ١٩٨٩) ، ص ٦٧.

١٠٠- أبو محمد بن عبد الله بن إدريس ، مصدر سابق ، ص٦٨.

١٠١- كولن ما كفيدي: مرجع سابق، ص ٩٢.

١٠٢- زكريا بن محمد بن محمود القزوي: مصدر سابق ،ص٤٤.

103 - OP.Ci Freeman p. 21-22.